الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

كلية الشريعة والاقتصاد

قسم الفقه وأصوله

الملتقى الدولي حول: "المدينة والتطور العمراني في ضوء فقه العمران والاجتماع البشري"، المنظم من طرف الكلية بالتنسيق مع قسم الفقه وأصوله، والمنعقد يومي الأربعاء والخميس 24 و25 شعبان 1442هـ الموافق 07 و08 أفريل 2021م

ملاحظات حول التنوع الاثني في المدينة الإسلامية ببلاد المغرب ما بين القرنين (2–5هـ/8–11م).

ط.د منير بقرار

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة

الملخص: يندرج اهتمام هذه الورقة العلمية ضمن اهتمامات الدراسات التاريخية التي تبحث في جوانب الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ببلاد المغرب خلال فترة العصر الوسيط المبكر، أين سيتم التركيز على عناصر النسيج الاجتماعي في المدن المغربية ورصد مظاهر الاندماج القبلي بين العناصر العربية الوافدة كالقبائل اليمانية والسليمية عقب انتشارها في المنطقة، وعلاقتها بالمركب السكاني المحلي كمجموعات البربر والجاليات اللاتينية الموسومة بالأفارقة أو البيزنطية المعروفة بالروم، والتي تواجدت قبل الفترة الاسلامية وقدرتها على التعايش معها جنبا إلى جنب. كما تسعى هذه المعالجة إلى الإجابة عن إشكالية أخرى ذات الصلة بمدى استمرارية المكونات الاثنية القديمة وتواصل استقرارها بالمدينة القديمة أو انتقالها وتوطنها بالمدينة الاسلامية المحدثة، مع رصد أهم التحولات البشرية والمجالية بمدن المغرب الاسلامي، وابراز العوامل المتحكمة فيها.

الكلمات المفتاحية: التنوع الاثني، المغرب الاسلامي، المدينة، التحولات، البربر، الروم، الأفارقة، الفرس، العجم، الصقالبة، السودان.

Abstract: The interest of this scientific paper falls within the interests of historical studies that examine aspects of social life in the Islamic city in the Islamic Maghreb during the early medieval period, where will focus on the elements of the social fabric in Moroccan cities and monitor the manifestations of tribal integration between the incoming Arab elements such as the Yamani and Sulaymani tribes after Its spread in the region, and its relationship with the local population such as Berber

groups and Latin communities marked by Africans or Byzantines known as Romans, which existed before the Islamic period and their ability to coexist with them side by side. This treatment also seeks to answer another problem related to the extent of the persistence of the ancient ethnic components and their continued stability in the old city or their transfer and settlement in the modernized Islamic city, while monitoring the most important human and spatial transformations in the cities of the Islamic Maghreb, and highlighting the factors controlling them.

Key words: ethnic diversity, Islamic Maghreb, Medina, metamorphoses, Berbers, Rūm, Afāriqa, Persians, Ajam, *Ṣaqāliba*, Sudan.

مقدمة:

نشأت شبكة المراكز الحضرية خلال فترة العصر الوسيط بعد إلحاق بلاد المغرب بدار الاسلام ونهاية حملات الفتح، لتنخرط بذلك المنطقة في عالم اسلامي عرفت خلاله تحولات اجتماعية وتطورات مجالية هامة، لاسيما ذلك التنوع البشري والاثني الذي ميّز الحياة داخل المدن القديمة بعد إعادة إحياء وبعث الحصون والمدن الرومانية والبيزنطية إلى جانب إنشاء المدن الاسلامية المستقلة عنها، والتي كانت تهدف إلى امتصاص القوة الديموغرافية الوافدة، وتسهم في توطين العنصر العربي بعد تمام عمليات الفتح الاسلامي في الربع الأخير من القرن الأول الهجري/7م، كما أنّها تُمكِّن للمسلمين سياسيا في بلاد المغرب، لذلك فدراسة مكونات التركيبة البشرية داخل المدن الاسلامية بالمغرب الاسلامي خلال الفترة الوسيطة، يحلينا إلى تنوع التركيب الاثني لعناصر المجتمع المغاربي، حيث استقرت الجاليات القديمة كالروم والأفارق في بعض المراكز الحضرية بإفريقية والمغرب الأوسط، وتوزعت المجموعات البربرية على كل المدن المغربية وشكّلت احدى مكوناتها الرئيسية.

سنحاول من خلال هذه الورقة العلمية تسليط الضوء على المدينة الإسلامية كمركز عمراني استيطاني للسكان ببلاد المغرب الاسلامي، وذلك من خلال إماطة اللثام عن إشكالية تتعلق بالتنوع البشري والاثني داخل أسوارها، وثم ما طبيعة العلاقة التي تربط مختلف التكوينات الاجتماعية ببعضها البعض في هذا الفضاء العمراني.

وتندرج ضمن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية يمكن طرحها كالتالي:

- كيف هي صورة التركيبة البشرية في المدينة الاسلامية ببلاد المغرب الاسلامي؟
- هل يمكن الحديث عن مدن اسلامية مغاربية تمثل مراكز استيطانية للجماعات السكانية باختلاف انتماءاتها الاثنية ؟

- ماهي أبرز ملامح التعايش السلمي والاجتماعي بين التكوين الاثني المحلي القديم والمركب الوافد الجديد، وكيف هي طبيعة العلاقة التي تربطهم...هل علاقة اختلاف أم ائتلاف ؟
- بماذا نفسر وجود تنوع اثني في المدينة الاسلامية ببلاد المغرب ؟

1/ تعريف المدينة: قبل الخوض في الحديث عن الحقل الدلالي للمدينة، ينبغي الإشارة إلى تعدد مفاهيم المدينة من عالم إلى آخر وبين اللغويين العرب في حد ذاتهم، لذلك نجد تباينا واضحا في المعاجم العربية، كما صرف المحدثون عنايتهم إلى المصطلح محاولين تفسيره حسب محددات الدينية والاجتماعية والاقتصادية وحتى العسكرية الدفاعية.

1-2/ المدلول اللغوي:

يتركب الفعل مَدَنَمن الميم والدال والنون[1]، وقال الأزهري مَدَّنَ بالمكان أي أَقَامَ به، ومنه المدينة، وهي فعيلة، للحِصْن يبنى في أُصْطُمَّةِ الأَرْضِ، ج مدائن، بالهمز ومُدُنٌومُدْن، والمدينة ستة عشر بلدا، يسمى كل واحد بذلك، ومدن المدائن تمدينا، أي مصّرها، ومدين قرية شعيب عليه السلام، والمدينة اسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، غلبت عليها تفخيما لها، شرفها الله تعالى وصانها[2].

1-3/ المدلول الاصطلاحي:

تعتبر المدينة من أهم ملامح الحضارة الانسانية، وهي نتاج تفاعل بين الانسان والإنسان، وبين الانسان والمكان، ولا يتم هذا التفاعل في فراغ بل تحكمه أطر فكرية وتكنولوجية تعبر عن صيرورة ذلك المجتمع تاريخيا والمكان في علاقتهما المتلازمة[3]، ومن الصعب الاتفاق على تعريف واحد للمدينة في معناها الشامل خلال فترة العصر الوسيط، فقد وردت تحت مسميات عديدة منها المصر والوطن والمدينة والبلد والحصن والحاضر، فالوقوف على هذه الألفاظ وسياقاتها ضروري لفهم مصطلح المدينة نشأة وتطورا[4].

وربط الباحث هشام جعيط دلالة كلمة المدينة بالمصر في صدر الاسلام الأول، لا سيما المدينة الكبيرة التي يتدخل العامل العسكري الدفاعي أو العامل التجاري أو الديني في تأسيسها، فقدان فتحت المدينة العربية أكثر أثناء وبعد عمليات الفتح الاسلامي، لدرجة أن الأمصار صممت لصالحهم أساسا[5].

كما تؤكد المفاهيم العربية الاسلامية للمدينة على ارتباط المدينة بالتعمير والبناء والسبب يعود للعلاقة الوطيدة بين المدينة والدين الاسلامي[1]، حيث لم يكن المظهر المدني بارزا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم،

---

[1] أحمد القزويني، معجم مقاييس اللغة، ج 5، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م، ص/ 5.

[2] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 36، تح: مجموعة محققين، دار الهداية، د ب، ص ص/ 156-157.

[3] علي عشي، نشأة المدينة الجزائرية في العصر الوسيط تعريف وتقديم، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، ج 9، ع 1، وهران، ص/91.

[4] الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والاعلامية، الجزائر، ط1، 2011، ص/ 37.

[5] هشام جعيط، نشأة المدينة العربية الاسلامية- الكوفة-، دار الطليعة، بيروت، 2005، لبنان، ص/ 203.

ويبدو جليا أن دوره صلى الله عليه وسلم التمديني واضح وكبير، خاصة وأنه استقر في مكان خلاء خواء، شهد تعميرا بشريا واقتصاديا سريعا بعد أن أصبحت المدينة تمثل مركز ثقل المسلمين ودولتهم[2].

2/ المدينة الاسلامية المغاربية: فضاء عمراني وتنوع بشري، قراءة في نماذج حضرية:

لقد تنوعت عناصر التركيبة الاثنية المشكلة للمجتمعات الحضرية ببلاد المغرب خلال المرحلة الأولى من العصر الوسيط، فنلاحظ خليطا من التكوينات البشرية تباينت فيه الإثنيات، وتعددت بين سكان محليين مشكلين من العنصر البربري والجاليات اللاتينو-بيزنطية مثلتها جماعات الروم والأفارقة، بالإضافة إلى وفود العنصر العربي والفارسي عقب الحملات العسكرية العربية على المنطقة في اطار حركة الفتوح، وعلى ضوء تداخل المادة التاريخية، وكثرة الاشارات المتعقلة بموضوع تنوع العناصر الاثنية في المدن المغاربية، وصعوبة تقديم صورة دقيقة وتفصيلية عن التركيب البشري في المدينة الاسلامية، لثراء الموضوع بالمعطيات الاخبارية والوصفية، فقد آثرت طلبا لمزيد ايضاح ودقة ضبط سوقها في جدول نمطي اتخذ الشكل التالي:

مجال التّوطن	المصطلح في سياق النص الوصفي	المركب الاثني				المصدر
		الروم	الأفارقة	البربر	العرب	
القيروان	«وبها عجم من عجم البلد البربر والروم وأشباه ذلك».	+	+	+		اليعقوبي، البلدان، ص/181.
بلاد قسطيلية توزر نفطة تقيوس الحامة نفطة) وبلاد الجريد	«فالمدينة العظمى يقال لها توزر...والثانية الحامة، والثالثة تقيوس والرابعة نفطة، وأهل هذه المدن قوم من العجم من الروم القدم والأفارقة والبربر». «وتوزر مدينة قديمة...وأهلها من بقايا الروم الذين كانوا قبل استفتاح المسلمين لها، وكذلك أكثر أهل قسطيلية وبلاد الجريد، لأنّهم في حين دخول المسلمين افريقية أسلموا على أموالهم...».	+	+	+		اليعقوبي، البلدان، ص/181. الاستبصار، ص/ الاستبصار، ص/ 156.

[1]الطاهر طويل، المرجع السابق، ص/ 37.

[2]هشام جعيط، المرجع السابق، ص/ 203.

	«ومن بلاد قسطيلية مدينة الحامة وتعرف اليوم بحمامة بني بهلول، وبني بهلول من سادات بلاد قسطيلية بل هم أغنى من فيها وهم من بقايا الروم الذين أسلموا على أموالهم...».					
باغاية	«وعجم من عجم البلد من بقايا الروم حولها ». «وإلى مدينة باغاية لجأ البربر والروم وبها تحصنوا من عقبة بن نافع القرشي فدارت عليهم حروب عظيمة وكانت الدائرة على أهل باغاية ».	+		+	+	اليعقوبي، البلدان، ص/181. البكري، المسالك والممالك، 329/2.
طبنة	«وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم».	+	+	+		اليعقوبي، البلدان، ص/190. ابن حوقل، صورة الأرض، ص/85.
نفزاوة (بشرة)	«وبها قوم من الأفارقة القدم والبربر».	+	+	+		اليعقوبي، البلدان، ص/190.
قابس	«يسكنها قوم من البربر من زناتة ولواتة والأفارقة الأول». «مدينة قابس وهي مدينة الأفارق».		+	+		اليعقوبي، البلدان، ص/190.
سبيطلة	«سبيطلة مدينة جرجير الملك وكان روميا».	+		+		ابن الفقيه، البلدان، ص/132.
قرطاجنة	«وكذلك كان مكر صاحب قرطاجنة	+				البكري،

	أن الروم فروا عنها وبقي فيها مرناق صاحبها».		+			المسالك والممالك، 206/1.
جزيرة شريك	«وبجزيرة شريك اجتمعت الروم بعد خول عبد الله بن سعد بن أبي سرح».	+		+	+	البكري، المسالك والممالك، 20/2.
تهوذا بادس	«فلما انتهى إلى تهوذا اعتمد كسيلة بن لمزم في جيوش الروم، وأقبلت إليه جيوش الروم وعسكر البربر». «لقد رأى عقبة في بادس وتهوده قوة كثيرة من النصارى والبربر، ولما انتهى إلى مدينة تهوده اعتمده كسيلة بن أقدم من جيوش الروم وأقبلت عساكر البربر فقتلوهم».	+		+	+	البكري، المسالك والممالك، 256/2. الاستبصار، ص/175.
نفيس	«مدينة نفيس مدينة أزلية غزاها عقبة بن نافع رحمه الله وحاصرها وفيها الروم والنصارى البربر فافتتحها».	+		+		الاستبصار، ص/208.

2-1/ التعليق على الجدول:

الملاحظ على الجدول هو تنوع الخريطة البشرية في بلاد المغرب الاسلامي، إذ تعددت الاثنيات وتباينت المجموعات السكانية التي رسمت الملمح العام للنسيج الاجتماعي المغاربي، وعلى ما يبدو أنّ هذا التنوع البشري يرجع بدرجة أولى إلى الموقع الجغرافي الهام الذي شكل محطة من المحطات الرئيسية للموجات البشرية التي تعاقبت على المنطقة وتوطنت بها، ومن ذلك ثراء المنطقة بالمركب البيزنطي اللاتيني من الروم والأفارقة بالمدن الحصون قديما، وتعايشها جنبا إلى جنب مع العرب الفاتحين إلى جانب البربر بعد الحاق بلاد المغرب بفلك الخلافة الاسلامية، ومثلت المدينة المغربية نواة للاستيطان اللاتينو-بيزنطي تأثرا بالهياكل العمرانية القديمة، فقد حاولت أن تحافظ على مواطن استقرارها وممتلكاتها على حساب نزوحها من مضارب انتشارها بعد تقدم العرب الفاتحين وسيطرتهم على

المجالات الشرقية[1]، والدليل أننا نجد جماعات الروم والأفارقة مستقرة مع العرب وقريش والبربر في مجالات نفزاوة، وينطبق نفس الأمر على مدينة طبنة التي توطنت بها البربر من زناتة ولواتة والأفارقة الأول[2].

لقد مهّدت الأوضاع السياسية والتحركات البشرية لميلاد مدن وسيطية تحل مكان مدن قديمة سبق وأن فقد مكانتها سنوات عديدة قبل وصول طلائع الجيوش العربية الاسلامية[3]، من ذلك مدينة بجاية التي احتوت على عناصر اجتماعية متعددة كالعرب والبربر والنصارى والصقالبة والعبيد السود الزنوج، وقابس التي يسكنها قوم من البربر من زناتة ولواتة والأفارقة الأول، وأما المدينة العظمى في قسطيلية فيقال لها توزر...والثانية الحامة، والثالثة تقيوس والرابعة نفطة، وأهل هذه المدن قوم من العجم من الروم القدم والأفارقة والبربر، وقد أسهم العامل الأمني في استقرار العديد من المجموعات السكانية داخل المدن أو تحركها نحو مجالات جديدة، فذكرت المصادر هجرة نحو ثلاثمائة أسرة قيروانية إلى فاس إبان الاضطرابات السياسية بإفريقية، واستقرارها في عدوة القرويين وكذلك انتقال مجموعة من العرب الأندلسيين الذين طردهم الحكم بن هشام إلى المدينة، وانفرادهم بعدوة خاصة بهم بينها وبين الأولى وادي فاس.

كما يمكن الاشارة إلى ثلاث عوامل رئيسية كان لها الدور في توطن العناصر الاجتماعية باختلاف انتماءاتهما الاثنية داخل المدن المغاربية:

- **العامل السياسي التاريخي**: بقاء الجماعات السكانية المحلية والجاليات البيزنطية واللاتينية في مواقعها، ورفضها النزوح عن مواطن استقرارها، دليل صريح على تمسكها بمجالها الجغرافي بالرغم من التحولات التي طبعت الخريطة المجالية والبشرية عقب نهاية حركة الفتح الاسلامي ببلاد المغرب[4].
- **العامل الاقتصادي التجاري**: استغلال الأرض والحفاظ على الملكية العقارية وحيازة المجال وضمان المكانة الاجتماعية المرموقة، جعلت من العناصر البشرية القديمة تسعى إلى البقاء في مواطنها بالرغم من التقدم العربي نحو مجالاتها، ومنهم من اعتنق الاسلام وتبنى اللغة العربية، وهو ما يثبت اندماجهم مع العناصر الجديدة، ولعل العبيد السودان توطنوا في المنطقة لأنها ظلت منفتحة على الأقاليم التي يتم توريدهم منها بالإضافة إلى أهمية الأعمال التي أوكلت لهم في المهن والحرف والفلاحة وغيرها[5].

---

[1]Virginie Prevost, Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord, Revue de l'histoire des religions,4. 2007, p.480.

[2]اليعقوبي، البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص/ 190.

[3]علاوة عمارة، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، ع26، سبتمبر 2008، ص/227.

[4]زياني الصادق، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من نهاية الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن9هـ، أطروحة دكتوراه، اشراف علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر، 2019، ص /107 .

[5]محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج1، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، 1999، ص/215.

- **العامل الديني المذهبي**: التعايش الديني والمذهبي وتشجيع المناظرات العلمي، وفتح المجال أمام النصارى لممارسة العمل التجاري خاصة في المدن المراسي كبجاية وتلمسان وتونس، عوامل مكنت هذه الجاليات من الاستقرار في المدن المغاربية وأسهمت في تنوع التركيبة الاثنية في المدينة الاسلامية ببلاد المغرب.
- **العامل العسكري الدفاعي**: إن حاجة السلط السياسية في دويلات بلاد المغرب إلى العناصر الأجنبية لتوفير الأمن وقمع الثورات، ومواجهة القبائل والصراع مع الضفة الشمالية، وتقوية الجهاز العسكري حتمت على الخلفاء والسلاطين والأمراء تجنيد المرتزقة من الصقالبة والسودان وغيرهم لحماية أنفسهم ودولهم.

3/ مكونات التركيبة البشرية في المدن المغاربية: عقب الحملات العسكرية على بلاد المغرب الاسلامي والسيطرة على مجالاته الريفية والحضرية، قامت الدولة الأموية بتثبيت سلطتها عن طريق ارسال الجيوش وتسهيل عملية التوطين العربي ببلاد المغرب، ومن ثمة فقد أصبحت المنطقة تحتوي على العديد من العناصر السكانية، فإلى جانب السكان المحليين الممثلين في البربر، والجاليات اللاتينية والبيزنطية مثل الروم والأفارقة، توافدت القبائل العربية اليمانية والسليمية وبعدها الهلالية، تشكل مركبا اثنيا رئيسيا إلى جانب الجاليات الاوروبية كالصقالبة أو السودانية كالمرتزقة السودان والزنوج.

●**البربر**: أول العناصر المشكلة للتركيبة الاثنية لمجتمع بلاد الزاب مثلته فئة الجماعات المحلية، ويأتي الحديث عنهم عند ذكر الحملات العسكرية العربية التي قادها عقبة بن نافع لفتح أبرز مقاطعات افريقية البيزنطية[1]، وحسب ابن خلدون[2] فشعوب البربر تنقسم إلى قسمين هما البتر والبرانس، ويجمعهما جذمان عظيمان هما برنس ومادغيس، ويلقب ماغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، ولفظ البربر كلمة أطلقها الرومان على الشعوب التي كانت دون حضارتهم، ووجد العرب الفاتحون اللفظ شائعا فأقروه، أما البربر أنفسهم فكانوا على مجموع كتلهم الأمازيغ، وهو ينبغي أن يعود إلى أصله استعمالا[3].

وقد سكنت البربر إلى جانب العرب في المدن المغاربية بصفة عما، ولا تكاد تخلو مدينة منهم، فقد توزعوا على المجالات الحضرية والريفية دون استثناء، وهو الأمر الذي أدى الى امتداد النسيج العمراني وتواصله، وإحاطته بسور وتوفر المنشآت الأساسية من مسجد وجامع وسوق قارة ومدرسة، وعدد السكان وكثافتهم[4]، كل ذلك ساهم في رسم صورة لفسيفساء اثنية شكلت النسيج الاجتماعي المغاربي خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين/ 8-11م.

---

[1] زياني الصادق، المرجع السابق، ص /102 .

[2] ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، ج6، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988م، ص/117.

[3] ابراهيم حركات، المجتمع الاسلامي والسلطة في العصر الوسيط، افريقيا الشرق، المغرب، 1998، ص/ 29.

[4] محمد حسن، المرجع السابق، ص/62.

●**الروم:** لقد أشار تادوتشلي فيتشكي إلى مدلول ايثنونيم الروم، مُقدّما تعريفا يتوافق مع ما قدّمته الدّراسات السّابقة، إذ لا تخرج مدلولاته عن المعنى المحصور في كونهم بقايا العنصر الروماني المسيحي، باستثناء الصبغة الدينية التي طبعت مصطلح الروم، فقد اعتبرهم جماعات رومانية مسيحية تشكلت من العناصر المحلية غير العربية، واستقرت في المجالات الريفية حتى بعد ثورة أبي يزيد النكاري[1]، أين اختفى العنصر المسيحي- الروماني بسبب أحداث ثورة صاحب الحمار، أو اندماجهم في النسيج الاجتماعي بمدن وواحات بلاد المغرب الاسلامي من خلال أسلمة جاليات منهم نتيجة الاختلاط مع العنصر العربي، إذ أطلقت عليهم تسمية المولدين أو عجم البلد الناطقين باللغة العربية.

●**الأفارقة:** تعددت الاشتقاقات اللغوية الشبيهة بإثنونيم الأفارقة، ووردت لتدل على معان متباينة، فاختلفت بذلك آراء الباحثين في معنى كلمة آفر انطلاقا من تقاربها اللغوي مع عديد الأسماء المشتقة من جذرها، حيث ظهرت اللفظة في صيغة إيفرو لتطلق على الاله الليبي الذي أشير إليه في الكتابة اللاتينية خلال الفترة القديمة، وورد مصطلح بني ايفرن[2]للدلالة على اسم قبيلة بربرية ذكر ابن خلدون[3]أصولها الاثنية التي تنحدر من قبيلة زناتة البترية، كما أشار كوربيوس إلى اسم مجال جغرافي موقعه في طرابلس بمُسّمى إيفار، إلى جانب حضور لفظة إيفري في اللغة البربرية لتحمل معنى كهف بصيغة المفرد وإيفرن كهوف بصيغة الجمع، ممّا يطرح فرضية مضمونها ارتباط جماعات الأفري بالاستقرار داخل الكهوف في المجالات التلية بالمغرب القديم[4]، ولذلك جاءت التسمية الاثنونيميةمشتقة من أصل طبيعي متمثلا في الكهوف التي اتخذتها هذه الجماعات مراكزا للتوطن والاسكان[4]، وقد ربط الفرنسي هنري توكسيي اسم الأفارقة بكلمتي " أفري" أو "أفاريسي" اللتين اصطلحتا على جميع السكان الرومان المستوطنين بمقاطعة افريقيا الرومانية[55]، وذكرتهم النصوص العربية تحت مُسمى الأفارقة دون تدقيق، مرتكزة على المنهج النقلي، ومتأثرة بالألفاظ المتداولة كالأفري والأفاريسي ذات الأصول الاثنية القديمة، ويشير مصطلح أفري إلى السكان الأصليين في شمال إفريقيا، وبشكل خاص الجماعات المتوطنة داخل الحدود الجغرافية لمقاطعة

---

[1]Tadeusz Lewicki,«Une langue romane oubliée de l'afrique Observations d'un arabisant», RocznikOrietalistyczny, 17 (1951-1952), p.

[2]Mohamed Meouak, Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb: l'apport de la toponymie et de la philologie, RocznikOrientalistyczy, LXVI, Z. 1, (2013), P. 63.

[3]ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، ط 2،ج7، دار الفكر، بيروت، 2000م ، ص15.

[4]الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط (ق 2-10هـ/8-16م) الأوراس أنموذجا – دراسة في المجال والعمران والمسالك، أطروحة دكتوراه، اشراف علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر، 2020، ص 350 .

[5]Henri touxier, Note sur les variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Beranès, Botr, Mazigh, et Frank, Revue Africaine, 23. 1879, p. 472.

قرطاج الإفريقية والأقاليم المحيطة بها، على خلاف مراكز التوطين الغربية المتاخمة لها، والتي استقرت بها جماعات النوميد والمور، الذين توزعوا على مجالات القسم الغربي للمنطقة كبلاد الأوراس، ولا يزال أصل هذه المجموعة العرقية – أي الأفري- غير معروف. لذلك في هذه الحالة، تبدو فرضية الفرنسي ستيفان غزال حول أصولهم منطقية حسب أحد الباحثين، فاسم أفري أصوله محلية افريقية، تم استعماله من طرف الرومان بصيغته اللاتينية[1].

●**العرب**: كان أول دخول للعرب الفاتحين بلاد المغرب على عهد الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة عمرو بن العاص السهمي عام 23هـ/643م، وجاء التقدم العربي الثاني نحو المغرب عام 27هـ/ 647م على عهد الخليفة عثمان وبقيادة والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان عدد الجيش الذي رافقه عشرون ألفا، وتشير الشواهد التاريخية إلى أن أغلب القبائل العربية التي توافدت على بلاد المغرب مشكلة من العرب اليمانية[2] والقيسية، كما أسهمت عملية الأسلمة والتعريب[3]التي عرفتها البلاد المفتوحة في استقرار هذه القبائل بالعديد من المدن المغاربية منها القيروان كأول نواة للاستيطان العربي، بل وتجاوز استقرارها برقة وطرابلس وودان إلى جانب جاليات من الكوفة والبصرة وخراسان وكذلك مدينة زويلة، وهذا الاستقرار خضع دون شك لمتطلبات تجارة الذهب والرقيق في بلاد السودان الأوسط والغربي مما أدى إلى مثاقفة تجاوزت حدود الواحات ووصلت إلى بلاد السودان التي أسلم سكانها وانتشرت بينهم اللغة العربية عن طريق التجار الإباضيين خاصة[4].كما يظهر الحضور اللافت للعرب ببلاد الزاب خلال القرن الهجري الثاني/ الثامن الميلادي، يأتي هذا الحضور في خضم الحملات التي قادها وال افريقية كلثوم بن عياض القشيري ضد الأفكار الثورية للصفرية والاباضية عام 124هـ/741م،

---

[1]Mohamed Meouak,op. cit., p.63.

[2] بوبة مجاني، أثر العرب اليمانية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2003، ص/11.

[3]لقد أدى اندماج السكان المحليين داخل منظومة موحدة هي نظام الخلافة الاسلامية بعد الانتهاء من اخضاع هذه المجتمعات للسلطة الجديدة إلى اعتناق الاسلام، وما زاد من تبني مجتمعات بلاد المغرب الاسلامي للعقيدة الاسلامية هو توافد العرب في شكل هجرات متتالية، وقدوم الفقهاء والعلماء إلى بلاد المغرب الاسلامي، واحتكاك السكان المحليين بالوافدين دون اقصاء دور التجار والاباضية من هذه العملية.الطاهر طويل، المرجع السابق، ص/465 . علاوة عمارة، أسلمة بلاد المغرب الأوسط: محاولة في التحقيب والآليات، الملتقى الدولي السابع حول الأسلمة والتعريب في المغرب وفي المشرق في العهد الوسيط، المنعقد بتونس في 26-27-28 أفريل، 2012م، منشورات جامعة تونس، 2012م، ص21. البكري، المصدر السابق،ج2، ص259.

[4] محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/7- 15م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ط 1، ص/14.

●**الفرس**: استعمل العرب مصلح الفرس وايثنونيم العجم للدلالة على الفرس مركب بشري، وبالرغم من غموض مدلول العجم لدى اليعقوبي إذ تحدث في مناسبتين عن "عجم أهل خراسان" إلا استعماله اعتبر مرادفا للفرس[1]، فسكان مدينة باغاية يتشكلون من قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم وحولها قبائل من البربر من هوارة[2]، وقد أشار اليعقوبي كذلك إلى سكان مدينة تاهرت في قوله:" تغلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي"[3]، كما ينبغي التنبيه إلى غياب مصلح الفرس في كتاب ابن الصغير، حيث أورد لفظ العجم معجما غامضا غير واضح[4]، ومهما يكن من أمر فقد تشكلت التركيبة السكانية في مدينة تاهرت من خليط اثني تنوع نسيجه من العرب والفرس والعجم القدم والصقالبة وكانت العلاقات بينهم ودية رغم الاختلاف المذهبي الذي ميز سكان الحاضرة، كما أن تنوع سكان المدينة يدل على قدرة الدولة على احتوائهم داخل المجتمع التاهرتي[5].

● **الصقالبة**: لقد تم استخدام العنصر الصقلبي في جيوش الدويلات المغربية، وهم عبارة عن الرقيق الأبيض الذي ينحدر اثنيا من الجنس الأوروبي، فقد اشار ابن فضلان إلى أصولهم الروسية في رحلته المشهورة[6]، وقد قام الأئمة الرستميون بتوريدهم من بلاد الأندلس، ووظفوا في قصور الأغنياء والحكام وكانت علاقتهم وثيقة بهم وحظوا بمكانة سامية جعلتهم مقربين إلى السلاطين والأئمة[7]، فلعبوا أدوارا عديدة كقمع التمردات والحفاظ على الأمن داخل الدولة المرابطية وشكلوا فئة لها حضورها في الجيوش المغربية كقادة وحرس واستعملوا في جباية الأموال، ووصلوا إلى مراتب عالية في هرم السلطة الإدارية أو العسكرية[8].

●**السودان**: اندمج العنصر السوداني في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الاسلامي خلال الفترةبين القرنين (2-5هـ/8-12م)، وقد استعمل الفاطميون الزنوج السود المستقدمين من بلاد السودان الغربي، وتبعهم في ذلك الزيريون، فكان للمعز بإفريقية 30 ألفا من المماليك اضطر لشرائهم بهدف مواجهة الاكتساح الهلالي

---

[1]مراد عرعار، ملاحظات حول الفرس والخراسانيين بالقيروان وإفريقية خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة، مقال ضمن كتاب: اشعاع القيروان عبر العصور، ج1، المجمع التونسي العلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 2010، ص/165.

[2]اليعقوبي، المصدر السابق، ص/ 190.

[3]اليعقوبي، نفسه، ص/ 192.

[4]ابراهيم بكير بحاز، الدول الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، ط1، دار كتاب، الجزائر، 2010، ص/33.

[5]علي الهطاي، الجغرافيا التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي دراسة في تطور المجالات والمواقع، مجلة المواقف، ع12، ديسمبر 2017، معسكر، الجزائر، ص/17.

[6]ابن فضلان، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، تح: شاكر لعيبي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص/95ومابعدها.

[7]ابراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص ص/ 38-39.

[8]بن الذيب عيسي، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراه تحت اشراف أحمد شريفي، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص/38 وما بعدها.

لبلاد المغرب[1]، واشترى محمد الكاتب عامل افريقية العبيد السودان وجعل على كل عامل من ثلاثين عبدا إلى ما دون ذلك وكذلك أصحاب الخراج ووجوه رجاله[2]، ومما يفيد الحضور القوي للعنصر السوداني في المدينة الاسلامية خلال العصر المرابطي تلك الإشارة التي أوردها ابن عذارى أثناء حديثه عن الهجوم الموحدي بقيادة عبد المؤمن بن علي سنة 524هـ/1129م، على مدينة أغمات أين قتل الموحدون" في يوم واحد نحو ثلاثة آلاف أكثرهم من السودان"[3].

- **خاتمة:** نخلص في الأخير إلى جملة من النقاط نستعرضها فيما يلي:

عكست النصوص الوصفية والاخبارية تنوعا بشريا واضحا، إذ تشكلت المدينة الاسلامية ببلاد المغرب خلال الفترة بين القرنين (2-5هـ/8-11م) من عناصر اجتماعية متعددة الأصول الاثنية كالبربر والروم والأفارقة، وكثيرا ما طبعت التركيبة الاجتماعية بعد تمام عمليات الأسلمة بتحولات بارزة، من خلال اعتناق الجماعات الاثنية القديمة الدين الاسلامي، بالإضافة إلى اندماج المجموعات العربية والفارسية الجديدة هي الأخرى في الأغلبية المحلية وذوبانها في العمق المغاربي.

شكّلت المدينة الاسلامية فضاء عمرانيا تعايشت فيه مختلف العناصر السكانية، بحيث ربطت بينهم علاقات ودية في غالب الأحيان بالرغم من الانتماءات الاثنية المتباينة، وقد لعبت المصالح الاقتصادية والأمنية العسكرية حجر الأساس في هذه العلاقات، اذ جند الصقالبة والسودان والزنوج للدفاع عن الدويلات الاسلامية، وتؤكد المصادر على امتهان العناصر الوافدة العديد من الحرف والصنائع، كما لوحظ اندماج القبائل العربية في الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب مشكلة بذلك عنصر اثنيا له تأثيره لا سيما التعريب والأسلمة ومن جهة أخرى خضع لمؤثرات اجتماعية محلية.

أكدّت الدراسة على ثراء التركيبة البشرية وتنوعها في مختلف المدن المغاربية سواء الساحلية أو الداخلية أو حتى الصحراوية، بل وشكلت العديد منها محطات توريد وتصدير العناصر البشري، ومدن أخرى كانت نواة استقطاب وجذب مجموعات اثنية مختلفة، للدور التجاري أو العلمي الهام أو الضمانات الأمنية الممنوحة من هياكلها.

إنَ الظرفية العسكرية والأمنية وحاجة السلط السياسية في بلاد المغرب الاسلامي، هي من ألحت كضرورة على استقدام العنصر الصقلبي والسوداني، وتجنيدهم في الجيوش وتوظيفهم في قصور الحكام والأغنياء، لأهمية الأدوار التي يقدمها هؤلاء في ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية.

---

[1] ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص/93.

[2] ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان، ليفي بروفنسال، ط3، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص/238.

[3] بن الذيب عيسي، المرجع السابق، ص/38 وما بعدها.